

الحلقة الرابعة

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

وكنا تأملنا في اللقاء الماضي بمقدمة سفر الأمثال، والتي دعت القارئ لكي يتعلم من السفر الحكمة والأدب، وأن يتدرب في طريق المعرفة لكي يحصل على الفضائل المثلى، والتي هي العدل والحق والاستقامة. وختمت المقدمة بالقول أن: مخافة الرب رأس المعرفة. وتبين لنا أنه لكي تكون عندنا مخافة الرب، علينا أن نعرف الله المعرفة الحقّة. وأن الله أعلن لنا عن نفسه من خلال المخلص يسوع المسيح. ولهذا علينا لكي نعرف الله حق المعرفة أن نؤمن بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلنا على الصليب.

سنبدأ اليوم بدراسة القسم الأول من سفر الأمثال والذي هو حكمة للشباب، ويتضمن ثلاثة عشر درساً للحكمة. يبدأ كل درس منها ما عدا الأخير، بكلمة يا ابني. وكان الخطاب هنا موجّه من معلّم إلى تلميذه، أو من أب إلى أولاده. يحتوي الدرس الأول من دروس الحكمة هذه على فقرتين هما: تجنّب أصدقاء السوء، وعدم المبالاة بنداء الحكمة. وسنقتصر في دراستنا اليوم على الفقرة الأولى لأهميتها القصوى في مجتمعاتنا العربية.

كان المجتمع في فلسطين أيام الملك سليمان يعاني من التفكك الاجتماعي، والانحلال الخلقي، والابتعاد عن شريعة الله، وانتشار أعمال السلب المنظم بالعنف. وهو ما يشابه الكثير من مجتمعاتنا العربية اليوم. فجاء نداء سليمان الحكيم للشباب في سفر الأمثال، إذ قال:

"يا ابني إن تملّك الخطاة فلا ترض. إن قالوا هلمّ معنا لنكمن للدم لنختف للبريء باطلاً. لنبتلعهم أحياء كالهواية وصحاحاً كالهابطين في الجب. فنجد كل قنية فاخرة نملاً بيوتنا غنيمة. تلقى قرعتك وسطنا. يكون لنا جميعاً كيس واحد. يا ابني لا تسلك في الطريق معهم. امنع رجلك عن مسالكهم. لأن أرجلهم تجري إلى الشر وتُسرع إلى سفك الدم. لأنه باطلاً تنصب الشبكة في عيني كل ذي جناح. أما هم فيكمنون لدم أنفسهم. يختفون لأنفسهم. هكذا طرق كل مولع بكسب. يأخذ نفس مقتنيه." (أمثال ١٠: ١-١٩)

يقول المثل العربي: قل لي من تعاشر فأقول لك من أنت. وهذا ما بدا واضحاً من نصائح أو تحذيرات سليمان الحكيم إلى الأحداث، وكأنه يتكلم إلى الأحداث في مجتمعات اليوم. فهو يحذّرهم من تملق أصدقاء السوء لهم، ومحاولات إغراءهم. أليس هذا ما يحصل بالنسبة لشباب اليوم؟ فكم من شاب كان لأصدقاء السوء الأثر السلبي الكبير على حياته، فانجرف في طريق الشر والفساد. ولو اقتصر الأمر على هذا الحد لهان الأمر، لكننا مع الأسف نجد انخراط شباب اليوم في عصابات الإجرام، وهو ما حذّر منه سليمان الحكيم.

بدأ سليمان الحكيم بتحذير الشاب من تملق أصدقاء السوء له، ودعاه لكي يرفض تملقهم. وكشف له أسلوب إغرائهم له وهو تشجيعه القيام بالاعتداء على الناس الأبرياء، طمعاً بالثروة والربح الوفير. وادعأؤهم أن هذه الثروة الجزيلة ستقسم بالتساوي بينهم. ثم يدعو سليمان الحكيم الشاب لكي لا يسلك في الطريق معهم، ويبعد رجليه عن مسالكهم. والسبب لأن أرجلهم تجري نحو الشر، وتُسرع إلى سفك الدم. والحقيقة أن أصدقاء السوء هؤلاء يكونون كمن يكمنون لنهاية أنفسهم. لأن نتائج الشر والجريمة معروفة.

إن نهاية المجرمين الأشرار لا بد أن تكون وبالاً عليهم، فهم إما أن ينتهوا في قضاء معظم حياتهم بالسجون، أو بخسارة حياتهم. فهل هذا هو ما يريده الشاب؟ وهل هذا هو المستقبل الذي يخطط له؟ قد تكون إغراءات الشر في البداية كثيرة، لكن نتائجها وخيمة. فهل تراه يتعظ الشاب؟

كتب الرسول بولس وهو من رسل المسيحية الأوائل إلى المؤمنين في كنيسة كورنثوس محذراً قائلاً: "لا تضلّوا. فإن المعاشرات الرديّة تُفسد الأخلاق الجيدة." (1كورنثوس ١٥: ٣٣) أجل إن المعاشرات الرديّة الفاسدة لا بد أن تفسد الأخلاق الجيدة. وهو ما نراه بوضوح دائماً.

فكم من شاب كان يتميز بأخلاق جيدة، لكن بسبب مصادفته لبعض الرفاق الفاسدين، انجرف في طريقهم، وفسدت أخلاقه. وصار يسلك في طريق الشر والإجرام معهم. ولهذا أتى المثل العربي: قل لي من تعاشر فأقول لك من أنت. فإذا كنت تعاشر أو تصادق إنساناً فاسداً، فهناك احتمال كبير أن تصبح فاسداً مثله. وفي المقابل إذا كنت تصادق إنساناً صالحاً فمن المحتمل جداً أن يشجعك لكي تتحلّى بالفضائل الحسنة التي يتحلّى بها. ولهذا يصبح مهماً أن تعرف من تصادق وترافق.

وهذا بدوره يضع مسؤولية كبيرة على الأهل والمربين، لكي يعرفوا من يصادق أولادهم، ومع من يقضون معظم أوقاتهم. وليس هذا فحسب بل ليحذروهم من مرافقة أولاد السوء، ويشجعوهم لكي يصادقوا ذوي الأخلاق الجيدة. فإذا كنت مستمعي شاباً، نرجوك أن تتبعد قدر الإمكان عن أصدقاء السوء، وترتبط بأصدقاء جيدين. وإذا كنت أحد الوالدين فإننا نشجعك لكي تساعد أولادك على اختيار الأصدقاء الصالحين، وتحذرهم من مرافقة أي من أصدقاء السوء.

لعل السؤال الذي يجب أن نطرحه الآن هو: كيف بإمكان الإنسان أن يصبح صالحاً لاسيماً أننا جميعاً كبشر خطاة؟ وللجواب نقول: لا نستطيع أن نكون صالحين، إلا عندما تكون لنا علاقة روحية صحيحة مع الله الحي، الذي هو كلي الصلاح. وكما نقول عادة في هذا البرنامج فإنه لكي تكون لنا علاقة مع الله، علينا أن نتعرّف بالإيمان على المخلص المسيح الذي أرسله الله لكي يكفّر عن ذنوبنا، وليهبنا الصلاح الحقيقي. وعندها نستطيع أن نسير في طريق الصلاح والخير، بواسطة قوة روح الله القدوس الذي يحل فينا.

فهل تود صديقي أن تتبعد عن أعمال الشر والفساد؟ وأن تسلك في طريق الصلاح والخير؟ وأن تكون مثلاً صالحاً وقوة مفيدة لغيرك؟ تعال اليوم مؤمناً بالمخلص المسيح الذي وحده يستطيع أن يحررك من عبودية الخطية، ويجعلك إنساناً جديداً صالحاً.